اكبرهم سنا واحسنهم رايا في يوسف لانه نهاهم عن قتله الم تعلموا ان اباكم يعني يعقوب قد اخذ عليكم موثقا من الله يعني عهدا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف يعني قصرتم في امر يوسف حتى منعتموه فلن ابرح الارض يعني الارض التي انا فيها وهي ارض مصر والمعنى فلن ابرح الارض من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة حتى ياذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر ويدعوني اليه او يحكم الله لي يعني برد اخي الي وبخروجي معكم او يحكم الله لي بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخي وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الحاله الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام ارجعوا الى ابيكم يعني يقول الاخ الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم قد وجدوا الصواع قد خرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة في قولهم وما شهدنا الا بما علمنا يعني لم نقل ذلك الا بعد ما راينا اخراج الصاع من متاع بنيامين وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا بما علمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لا انا نشهد عليه بالسرقة وقال ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها اي نسب الى السرقة وانهم بها وهذه القراة لا تحتاج الى تاويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراة ليست مشهورة فلا تقوم لها حجة والقراة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني ما قلنا هذا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة وقيل بل قال لهم يعقوب هب انه سرق فما يدري هذا ان الرجل السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبيا قبله ويعقوب وبنيه حتى ينكر على بنيه ذلك واجيب عنه بانه يحتمل ان ذلك العلم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام الملك لهذا الحكم لظنه انه كافر وما كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة وما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا الى حفظه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيبه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك واسال القرية التي كنا فيها يعني واسال اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهورة وكلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان فيها جرى فيها حديث السرقة والتفتيش والعير التي اقبلنا فيها اي يعني سل القافلة التي كنا فيها وكان صحبتهم قوم من كنعان من جيران يعقوب وانا لصادقون يعني فيما قلنا وانما امرهم اخوهم الذي اقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف قال بل سولت لكم انفسكم امرا معناه فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوه لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت لكم يعني بل زينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم الى مصر لطلب نفع عاجل قال امركم الى ما ال وقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق فصبر جميل تقدم تفسيره في اول السورة عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه

واشتد

واشتد بلاوه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلا وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى عليه وعلى بنيه من اول الامر وهو رويا يوسف وقوله يا بني لا تقصص روياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم يعني بحزني ووجدي عليه الحكيم يعني فيما يدبره ويقضيه قوله تعالى وتولى عنهم يعني واعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه واشتد بلاوه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف وقال يا اسفا على يوسف الاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن اخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك فقال

اتبكي على كل قبر رايته ٭ لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له الاسى يبعث الاسى ٭ فدعني فهذا كله قبر مالك

فاجاب ان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة فكان يتسلى يعقوب عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا اسفا على يوسف وقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه السلام شكى الى الله لا منه فقوله يا اسفا على يوسف وقد ذكر ابن الانباري عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب للاسف في اللفظ على المجاز يعني به المظهر في اللغة وتلخيصه يا الهي ارحم اسفي او انت ترى اسفي او هذا اسفي فنادى الاسف في اللفظ والمنادى سوى في المعنى ولا اثم اذا لم ينطق اللسان بكلام فيه ماثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان يا اسفى على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاوه وقويت محنته قال يا اسفى على يوسف اي اشكو الى الله شدة اسفي على يوسف ولم يشكه الى احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وابيضت عيناه من الحزن اي عمي من الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيا ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكا وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكا فتصير العين كانها بيضا من ذلك الما الخارج من العين فهو كظيم اي مكظوم وهو الممتلي من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذي يردد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه الى يوم التقيا ثمانين سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه قال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي ان جبريل دخل على يوسف وهو في السجن فقال له هل تعرفني ايها الصديق فقال يوسف ارى صورة طاهرة قال اني رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فما ادخلك مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها هي اطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله يا اطهر الطاهرين ومن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من المخلصين الطاهرين وقد دخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بابائك الصالحين قال يوسف فهل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)